كان إذا كذا عليه كبر العرب تقول . للنفوس المحرجة الشديدة بمعنى هنا والكبيرة A E شديدا على نفسه كقوله تعالى (وإن كان كبر عليك إعراضهم) .

(وما كان ا لـيضيع إيمانكم إن ا بالناس لرءوف رحيم [143]) الجملة في موضع الحال من ضمير (لنعلم) أي لنظهر من يتبع الرسول ومن ينقلب على عقبيه ونحن غير مضيعين إيمانكم .

وذكر اسم الجلالة من الإظهار في مقام الإضمار للتعظيم .

روى البخاري عن البراء بن عازب قال (كان مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل ا تعالى) (وما كان ا ليضيع إيمانكم) . وفي قوله (قتلوا إشكال) لأنه لم يكن قتال قبل تحويل القبلة وسنبين ذلك وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال لما وجه النبي إلى الكعبة قالوا يا رسول ا كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنول ا (وما كان ا ليضيع إيمانكم) الآية قال هذا حديث حسن صحيح .

والإضاعة إتلاف الشيء وإبطال آثاره وفسر الإيمان على ظاهره وفسر أيضا بالصلاة نقله القرطبي عن مالك .

وتعلق يضيع بالإيمان على تقدير مضاف فإن فسر الإيمان على ظاهره كان التقدير ليضيع حق إيمانكم حين لم تزلزله وساوس الشيطان عند الاستقبال إلى قبلة لا تودونها وإن فسر الإيمان بالصلاة كان التقدير ما كان ا ليضيع فضل صلاتكم أو ثوابها وفي إطلاق اسم الإيمان على الصلاة تنويه بالصلاة لأنها اعظم أركان الإيمان وعن مالك (إني لأذكر بهذا قول المرجئة الصلاة ليست من الإيمان) .

ومعنى حديث البخاري والترمذي أن المسلمين كانوا يظنون أن نسخ حكم يجعل المنسوخ باطلا فلا تترتب عليه آثار العمل به فلذلك توجسوا خيفة على صلاة إخوانهم الذين ماتوا قبل نسخ استقبال بيت المقدس مثل أسعد بن زرارة بن معرور وأبي أمامة وظن السائلون أنهم سيجب عليهم قضاء ما صلوه قبل النسخ ولهذا أجيب سؤالهم بما يشملهم ويشمل من ماتوا قبل فقال إيمانكم ولم يقل إيمانهم على حسب السؤال .

والتذييل بقوله (إن ا بالناس لرءوف رحيم) تأكيد لعدم إضاعة إيمانهم ومنة وتعليم بأن الحكم المنسوخ إنما يلغي العمل في المستقبل لا في ماضي .

والرءوف الرحيم صفتان مشبهتان مشتقة أولاهما من الرأفة والثانية من الرحمة . والرأفة مفسرة بالرحمة في إطلاق كلام الجمهور من أهل اللغة وعليه درج الزجاج وخص المحققون من أهل

اللغة الرأفة بمعنى رحمة خاصة فقال أبو عمرو بن العلاء الرأفة أكثر من الرحمة أي أقوى أي هي رحمة قوية وهو معنى قول الجوهري الرأفة أشد الرحمة وقال في المجمل الرأفة أخص من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهية والرحمة تقع في الكراهية للمصلحة فاستخلص القفال من ذلك أن قال : الفرق بين الرأفة والرحمة أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وإزالة الضر كقوله تعالى (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين ا) وأما الرحمة فاسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه الإفضال والإنعام اه . وهذا أحسن ما قيل فيها واختاره الفخر وعبد الحكيم وربما كان مشيرا إلى أن بين الرأفة والرحمة عموما وخصوصا مطلقا وأياما كان معنى الرأفة فالجمع بين رءوف ورحيم في الآية يفيد توكيد مدلول أحدهما بمدلول الآخر بالمساواة أو بالزيادة .

وأما على اعتبار تفسير المحققين لمعنى الرأفة والرحمة فالجمع بين الوصفين لإفادة أنه تعالى يرحم الرحمة القوية لمستحقها ويرحم مطلق الرحمة من دون ذلك .

وتقدم معنى الرحمة في سورة الفاتحة .

وتقديم (رءوف) ليقع لفظ رحيم فاصلة فيكون أنسب بفواصل هذه السورة لانبناء فواصلها على حرف صحيح ممدود يعقبه حرف صحيح ساكن ووصف رءوف معتمد ساكنه على الهمز والهمز شبيه بحروف العلة فالنطق به غير تام التمكن على اللسان وحرف الفاء لكونه يخرج من بطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا أشبه حرف اللين فلا يتمكن عليه سكون الوقف .

وتقديم (بالناس) على متعلقه وهو رءوف رحيم للتنبيه على عنايته بهم إيقاظا لهم ليشكروه مع الرعاية على الفاصلة .

وقرأ الجمهور (لرءوف) بواو ساكنه بعدها همزه وقرأه أبو عمرو وحمزه والكسائي ويعقوب وخلف بدون واو مع ضم الهمزة بوزن عضد وهو لغة على غير قياس .

A E